مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٣ ٢٣ المحرم سنة ١٣٧٣

# ( من الأدب القديم في الصميم )

الآثار الأدبية التي وصلت الينا من صنع العرب القدامى وما يتخللها من قطع الشعر والنثر ، البليغة الأسلوب المؤنقة التركيب ، ينبغي أن تعتبر الأساس الذي يبني عليه الأدب الحديث كيانه والمصدر الذي يقتبس منه مادته ثم يُضفي عليه من لبوس الحضارة الجديدة وثقافة أهلها ما يحببه الى أبناء هذا العصر ويدنيه من أذواقهم ومتناول عقولهم . وكنت منذ سنين خلت تناولت من البخاري الشريف حديثًا اشتهر باسم ( حديث أم زرع ) والحديث ورد على لسان النبي ( ﷺ ) أو زوجه السيدة عائشة رضي الله عنها يحدث به أحدهما الآخر ولهذا الحديث ـ حديث أم زرع ـ منزلة في كتب السنة لما تضمنه من غريب اللغة وجليل المعاني المتعلقة بالنساء وبعولتهن . وبما يجري بينهم من مستملح النكات وبارع الأوصاف التي تتنادر بها الأزواج مع أزواجهن . وقد كنت تناولتُ هذا الحديث وأفرغته في قالب محاضرة رضي عنها مستمعوها برغم ما فيها من غريب اللغة وحوشي الألفاظ التي لم تعد اليوم مأنوسة ولا مألوفة .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد ظفرت في معاجم اللغة بخبرٍ عن العرب يشبه خبر أم زرع قرأته في كتاب ( الفائق ) للزمخشري واشتهر عند المحدثين واللغويين باسم ( حديث لقمان بن عاد ) ولقمان هذا هو المشهور في آداب العرب بما يُنقل عنه من الأمثال وأوابد الكلم . وينسبونه الى عاد مذ يقولون لقمان بن عاد ويميزونه باسم صاحب النسور التي لما سأل الله أن يعيش عمراً طويلاً أمره الباري تعالى أن يتخذ سبعة نسور ويربيها واحداً بعد آخر حتى اذا انتهى عمر النسر الأخير ، وقد سماه لبداً ، كان ذلك آيةً على انقضاء أجله . وعاش نسره الأخير طويلاً حتى ضرب به المثل فيقال :

( يا بكر حواء كم تعيش وكم تسحب ذيل الحياة يا لُبد )

وقال النابغة :

( أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لُبد )

وهناك لقمان آخر مذكور في القرآن بأنه قد أوتي الحكمة والصحيح أنه لم يكن نبياً وانما كان رجلاً صالحاً في زمن بني اسرائيل وقيل كان قاضياً فيهم ، أما لقمان العرب فهو مَن وصفنا آنفاً وكان له إخوة سبعة فجرت بينه وبينهم منافسة من أجل خطبة امرأة يريد كل منهم أن يتزوجها وعُرضت عليها أوصافهم واحداً واحداً كما عُرضت أوصاف بعولة النساء في حديث أم زرع . وحديث لقمان هذا قد استفاضت ألفاظه في كتب اللغة كحديث أم زرع ويستشهد بألفاظه في كل مناسبة تعرض في معاجم اللغة .

قال الزمخشري : خطب لقمان امرأة كان اخوته سبقوه اليها وخطبوها لأنفسهم فلما بلغهم خطبته لها قالوا له بئس ما صنعت : خطبتَ امرأةً قد خطبناها قبلك . وكانوا سبعة وهو ثامنهم وبعد نزاع ثار ثائره بينهم اتفقوا على أن يذهب لقمان اليها فينعت لها نفسه واخوته واحداً واحداً بصدق ثم تختار هي أيهم شاءت فذهب اليها وجرى هذا الحوار بينه وبينها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

— ١ —

## ( ذو البَجَل )

قال لقمان :

خذني مني أخي ذا البَجَل ، اذا رَعى القومُ غفل ، واذا سعى القومُ نسل ، واذا كان الشأن اتّكل .

قريب من نَضيج ، بعيد من نيئ . فلَحيا لصاحبنا لحيا : فأجابته المرأة قائلة : عِيال لا أريده .

## ( التفسير )

قال الزمخشري : الوجهُ أن يكون قول لقمان في تسمية أخيه الأول ( ذو البَجَل ) وتسمية الثاني ( ذو العفاق ) والثالث ( ذو الأسد ) الى آخرهم ـ قوله هذا كشفاً لأساميهم وألقابهم المتعارفة بينهم لا أن تكون هذه التسميات استئناف أوصاف لأخوته ارتجلها لقمان من ساعته .

وقوله ( خذني مني ) من هنا للبدلية كأنه يقول خذني أخي فلاناً بدلاً عني او ابتدائية ويكون الكلام على حذف مضاف كأنه يقول خذني مني وصف أخي الخ و ( البَجَل ) بالتحريك الضخامة . وسياق ما بعدها يدل على أنه يريد ذمه بوصف ضخامته فهو يلمزه بكثرة الشحم وترهّل الجسم من كثرة ما يأكل . وقيل المراد بالبَجَل الحسْب ( بسكون السين ) بمعنى الكفاية تقول ـ وقد عُرضت عليك أشياء فوق حاجتك ـ هذا حسْبي هذا بَجَلي أي ما في يدي يكفيني ولا أطلب زيادةً عليه ، ومنه قول الشاعر :

( ردوا علينا شيخنا ثم بَجَل )

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال ابو عبيدة : ان لقمان أراد أن اخاه قصير الهمة لا رغبة له في معالي الأمور يرضى بالأدنى من العيش وتكاليف الحياة وعلى غيره أن يكفيه ما زاد عن حاجته . ولذا أجابت المرأة المخطوبة انه ( عيال لا أريده ) أي هو عيال كلٌّ على غيره . وعيال جمع عيّل وهم أهل البيت الذين يكفلهم الرجل ويقوم بمؤونتهم لكن ( عيال ) يستعمل أحياناً مفرداً كما استعملته المرأة هنا .

وقوله رعى القوم برفع القوم على الفاعلية ومفعوله محذوف كأنه يقول اذا رعى القوم بعضهم بعضاً أو يقال اذا اهتموا برعاية بعضهم بعضاً ويحتمل أن يكون من رعاية النَّعَم أي اذا رعى بعضهم لبعض إبله وحاط بالحفظ والعلف رواحله تفاقل هو وتقاعد عن مشاركتهم في الرعاية ومداركة المرعى للابل .

قوله واذا سعى القوم نسل أي اذا سعوا في ما يصلح شأنهم ويفضي الى توفير أسباب هناءتهم لم يدخل معهم في السعي بل ( نَسَل ) أي خرج وكان في معزل عنهم . ونسل بهذا المعنى مأخوذ من قولهم ( نسل الولدُ ) سقط من بطن أمه و ( نسل الصوف والريش ) سقطا عن الخروف والطائر فنسَل هنا بمعنى قولهم انسلّ اذا انطلق من بين القوم تدريجاً ( رمتني بدائها وانسلّت ) .

قوله ( واذا كان الشان اتكل ) يرجع الى معنى ما قبله اي اذا نزل بقومه شأن من الشؤون أو خطب من الخطوب تواري عن نصرتهم واتكل عليهم في حياطة أنفسهم .

قوله ( قريب من نضيج بعيد من نيئ ) النيئ من الطعام غير النضيج . يصفه بملازمة المجازر والمطابخ حيث تهيأ الأطعمة فهو يؤمها ويأكل النضيج منها ، أما حيث يكون النيئ غير الناضج من الطعام فيتجنبه ويسرع الى حيث يجد النضيج المهيأ وهذا كما قال الحماسي :

( لحا الله صعلوكاً اذا جنّ ليله مصافي المشاش آلفاً كل مجزر )

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ورجل مثل هذا خليق بكره النساء له وزهدهن فيه ولذا قالت المخطوبة (عيال لا أريده) كما مر . وقبل أن تقول هذا القول الدال على نفرتها منه وزرايتها عليه قاله لقمان نفسه فهو بادر المخطوبة ودعا على أخيه (ذي البَجَل) بالهلاك قائلاً : (فلحياً لصاحبنا لحيا) أي هلاكاً له هلاكا . كرر للتأكيد وهو مثل (لحواً) بالواو يقال لحاه الله اذا أهلكه أو أخزاه لحواً ولحيا : وعبر عن أخيه بقوله صاحبنا تهكماً أو مؤانسة كما نفعل اليوم في لهجتنا الدارجة : ننتظر أحد الناس لقضاء مهمة فيمضي وقت طويل ولا يحضر فيقول أحدنا مستبطئاً متبرماً : يظهر أن صاحبنا قد نسي الوعد وشغل بالتافه . نقول هذا وقد لا يكون الرجل بصاحب لنا وقد يكون أخاً كما هنا وانما اللهجة محكمة .

* * *

## — ٢ —

## ( ذو البَجْلة )

**قال لقمان المرأة بعد أن أبت الزواج من أخيه ذي البَجَل :**

**خذي مني أخي ذا البَجْلة ، يحمل ثِقْلي وثِقْله ، يخصِف نعلي ونعله ، واذا جاء يومُه قدمت قبله .**

**فقالت : خادم لا أريده**

## ( التفسير )

(البجْلة) بسكون الجيم بمعنى الهيئة والحسن والشارة ، نهي ـ أي كلمة (البجلة) واردة مورد المدح للأخ الثاني لا كما ورد (البجَل) في مورد الذم للأخ الأول ، ولكن في قول لقمان ملاحظةً لا تخفى فهو قد وصف أخاه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالشارة الحسنة . ومعنى الشارة يجمع بين حسن جسم الانسان وحسن لباسه وبعد أن وصفه بهذا قال انه يحمل الثِّقل ويخصِف النعل . وقد حمل قوله هذا المرأة على أن تأنف من زواجه وتقول ان همته همة خادم وهي تريد زوجاً لا خادماً . و ( الثِقْل ) بكسر فسكون معناه الحمل الثقيل أما الثَقَل بالتحريك فمتاع المسافر . والظاهر ان المراد المعنى الأول لينسجم السجع في السمع . والمراد بالحمل الثقيل الحمل المادي لا المعنوي أي ما يحمله الخدم والأتباع من الأثقال في خدمة أسيادهم بدليل قوله بعد : ويخصف نعلي ونعله ، وخصف النعل ترقيعها ولولا هذا لقلنا انه يمدح أخاه بحمل أثقال الناس ومهام حياتهم فهو يقضي مصالحهم ويؤدي مغارمهم . فيكون سيداً عظيماً لا خادماً لئيماً . وقول لقمان : ( واذا جاء يومه ) أي أجله ودنت وفاته وقوله ( قدمت قبله ) لم أر للشراح قولاً في تفسير هذه الجملة . وقد خطر لي في تفسيرها رأيان الأول أن تكون ( قدمت ) فعل ماض من القدوم وتكون الجملة دعائية فهو يدعو على نفسه بالموت والقدوم الى مضاجع القبور اذا جاء أجل أخيه ورآه يموت قبله . و ( المعنى الثاني ) أن تكون ( قدمت ) مركبة من حرف التحقيق ( قد ) و ( مت ) فعل ماض من الموت وفاعله تاء المتكلم . ولا تكون الجملة دعائية بل خبرية يحقق فيها موته قبل أخيه اذا رآه يموت . فهو كأنه يقول انه يموت اذا رأى أخاه مشرفاً على الموت ـ وكل هذا في اظهار حبه لأخيه وتعظيمه له لم يغن شيئاً في نفس المرأة ما دام قد وصفه بخصف النعال وحمل الأثقال وهي من صفات التَبَع . لا السيد السميذع . فيكون للمرأة الحق في الرغبة عنه والزهد فيه .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— ٣ —

( ذو العِفاق )

ثم قال لقمان للمرأة : خذي مني أخي ذا العِفَاقِ صفّاق أفّاق . يُعمل الناقة والساق . فقالت : فنيخ لا أريده .

( التفسير )

مادة ( العفق ) بجميع معانيها تدل على السرعة في الأعمال وفي الحركة والتردد روحةً وجيئةً . فقول لقمان في وصف أخيه الثالث انه ذو عفاق يريد انه ذو حركة ونشاط في ما يحاوله من الأعمال ويؤيد هذا المعنى قوله بعده : صفّاق أفّاق يُعمل الناقة والساق وفي اللسان يعمل ( البكرة والساق ) والبكرة الفتية من الإبل . قال الزمخشري ( والأفّاق ) من الأُفُق بمعنى انه مسفار منقب في الآفاق . أما ( الصفّاق ) فقال انها من الصفق وهو الجانب . ولم يعجبني هذا التأويل وأفضل عليه ان تكون من الصفق في الأسواق وهو التبايع فيها اذ ان المتبايعين عند تمام المساومة والاتفاق على البيع يتصافقان بأيديهما ومنه قولهم صفقة رابحة وصفقة خاسرة . فلقمان يصف أخاه بأنه ذو نشاط في الصفق بالأسواق والضرب في الآفاق فهو صفّاق أفّاق يعمل ناقته ( أو بكرته ) فيركب عليها . وان أعوزته الناقة أعمل ساقه وقدمه في السير : فهو تارة يركب وتارة يمشي لا يعوقه عائق عن النشاط والحركة . رجل مثل هذا في نشاطه ومواصلة حركته في الكسب وطلب الرزق ينبغي أن يعجب النساء ويملن اليه لكن المرأة لم يعجبها ما قاله لقمان في أخيه ( ذي العفاق ) ووصفه بما وصفه به فقد أجابته قائلة ( فنيخ لا أريده ) وفنيخ لها معنيان : فنيخ فعيل بمعنى مفعول من فعل فنخه اذا قهره وأذله : فهي تقول ان هذا الرجل الذي وصفته ذليل مقهور .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن أين جاءه القهر والذل ومن الذي قهره وأذله ؟ والمعنى الثاني للفنيخ الشيخ المسنّ والرخو الضعيف ولا شيء من هذا في ( ذي العفاق ) الذي وصفه لقمان بالنشاط والحركة . ويغلب على الظن ان كلمة ( فنيخ ) محرفة أو مصحفة عن كلمة أخرى تناسب المقام وينسجم معها الكلام . أو ان محلها في جواب آخر من أجوبة المرأة غير هذا الجواب .

* * *

— ٤ —

( ذو الأسد )

ثم قال لقمان للمرأة عن أخيه الرابع : خذي مني أخي ذا الأسَد ، جوّابُ ليلٍ سَرْمَد ، وبحرٌ ذُو زَبَد .

فقالت : سارق لا أريده .

( التفسير )

( الأسَد ) هنا مصدر أسِدَ الرجل أسَداً اذا صار كالأسد في جرأته وطباعه فأسِد ( الثلاثي ) بمعنى استأسد وقد جاء الفعل الثلاثي نفسه في حديث ( أم زرع ) في قول احدى النساء اللواتي وصفن أزواجهن قالت : ( زوجي إن خرج أسِد . وإن دخل فَهِد . ولا يسأل عما عَهِد ) تقول أنه كالأسد والفهد في حالتي خروجه من الدار وعودته اليها فهو لا يتداخل في شؤون الدار الخاصة بي ولا يسأل عما عهده منها فلا يقول ماذا كان من أمر كذا أو ماذا جرى في أمر كذا . لكنه يتغافل ويكل أمر تدبير البيت إليّ وهذا من حسن أخلاقه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما لقمان في وصف أخيه فقد جعله ذا اسَدبة في طباعه وسجاياه من ذاك انه جوّاب ليل سرمد أي لا يفتر عن التجوال في الليل مهما طال وهذا معنى كون الليل سرمدا .

قال الزمخشري ليل سرمد أى دائم غير منقطع لفرط طوله .

ثم ان لقمان وصف أخاه هذا بوصف آخر غير القوة وهو انه كالبحر ذي الزبد في كرمه ونفعه واحتواء أعماقه على الجواهر والنفائس . فأغفلت المرأة المخطوبة هذا وتعلقت بقوله ( جوّاب ليل ) واستخرجت منه ان أخاه لص لا يدع التجول في ليله للسرقة والسلب ، ولذا أجابته بقولها ( سارق لا أريده ) وأين السارق من الأسد والبحر ؟ غير ان للخبيثة في نفسها من أحد الأخوة أمراً ولها فيه هوى كما سيأتي .

* * *

— ٥ —

( زو التمر )

ثم قال لها : خذي مني أخي ذا التَّمْر ، حييٌّ خفر ، شجاع ظَفِر ، أعجبني وهو خير من ذاك اذا سَكِر .

فقالت : يشرب الخمر لا أريده .

( التفسير )

أقول لقب هذا الأخ بذي التمر إما لكثرة ما يملكه من حوائط النخيل ذات التمور . وإما لكثرة بذله التمر والسخاء به على الفقراء والمساكين . والعرب اذا رأوا الرجل استكثر من شيء أو لازم شيئاً نسبوه اليه كما قالوا هنا ( ذو التمر ) أو أضافوه اليه كما قالوا ( زبد الخيل ) لأنه كان فارساً ملازماً لركوبها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي الطبعة المصرية ( ذا النمَر ) بالنون فاذا صحت كان ( النَمَر ) بفتحتين مصدر نمر نَمَراً اذا غضب بمعنى كثير الغضب على من يخالفه أو يجرأ عليه .

وقوله ( خضر ) كذا في الأصل أي بالضاد وهو تحريف صوابه ( خفِر ) بالفاء وصف من الخفر وهو الحياء بدليل قوله قبله حيٌّ . ورفعها على نية القطع كأنه قال هو حيٌّ خفر . وظفر بكسر الفاء وصف من الظفَر لكن فيه مبالغة ولذا فسروه بقولهم : ( لا يطلب أمراً الا أصابه ) .

وقوله أعجبني الخ فعل أعجبني مرتبط بقوله ( اذا سكر ) يريد ان حال أخيه اذا سكر يعجبه أكثر من كل أحواله وقوله ( وهو الخ ) اعتراض بين الجملتين وضمير ( هو ) يرجع الى المصدر المفهوم من فعل أعجبني كأنه يقول واعجابي بما أذكره عنه في حالة سكره خيرٌ من ذاك أي خير مما ذكرت قبلُ من الأوصاف بجوده بالتمر وحيائه وشجاعته .

أما كون اعجاب لقمان بأخيه وهو يسكر خير من إعجابه بجميع صفاته فهو لأن سخاء أخيه ملازم له حتى في حالة غياب عقله بالسكر فكيف اذا كان في حال صحو فانه بالطبع يكون أكثر جوداً وأوسع سخاءً . ومقام المدح يعين كون مراده هذا المعنى الذي بسطه عنترة في بيتيه المشهورين :

( واذا سكرتُ فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يُكلم )

( واذاصحوت فما أقصرعن ندى وكما علمتِ شمائلي وتكرمي )

ولكن عنترة في قوله هذا زاد عما قاله لقمان في وصف أخيه : ذلك ان عنترة يهلك ماله في الجود به وهو سكران . وجوده هذا لا عن سفه وقلة وعي بدليل انه وهو سكران يبقى محافظاً على وفور عرضه وعدم انتقاصه بأدنى خزاية أو عربدة ولذا كان شعر عنترة هذا من خير ما قيل في هذا المعنى بل من خير ما يدل على نجابة عبد بني عبس وكبر نفسه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومهما أطنبنا وأطنب لقمان في وصف أخلاق أخيه في حالة سكره فان المرأة لم يعجبها ذاك ولم يزعزع نيتها في من تضمر خطبته من الأخوة الثمان بل ربما كان قول لقمان ان أخاه يسكر وينفق ماله فرصة اغتنمتها للنفرة من هذا الأخ الملقب بذي التمر ورد طلبه قائلة : يشرب الخمر لا أريده .

* * *

— ٦ —

( ذو الحُمَمَة )

قال لقمان : خذي مني أخي ذا الحُمَمَة يهب المائة البكرة السنِمَة ، والمائة البقرة العَمَمة ، والمائة الضائنة الزَعِمة ، واذا أتت على عادِ ليلةٌ مظلمة ، رَتَبَ رُتوبَ الكعب وولام شَزَنه . وقال : اكفوني الميمنة ، سأكفيكم المَشْأمة ، وليست فيه لَشْمَة ، الا أنه ابن أمَة .

فقالت : مُسْرف لا أريده .

( التفسير )

لم يفسر لنا الزمخشري في الفائق مراده بالحُمَمَة في وصف أخيه غير ان صاحب اللسان قال ( وفي حديث لقمان بن عاد : خذي مني أخي ذا الحمة أراد سواد لونه ه ) وجاء معنى السواد من معنى الفحم الذي في الحُمَمَة . ففي اللسان ( والحُمَم الفحم واحدته حُمَمَة ) واذا ثبت ان أخاه هذا كان أسود اللون فلا جدال . والا فالأمدح أن تكون ( الحمة ) بمعنى الرماد فيكون قد وصفه بالسخاء والجود على حد قول العرب في الكناية عن الجود : « فلان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كثير الرماد» ويؤيد هذا أن لقمان أول ما وصف أخاه بالجود مذ قال يهب المائة البكرة السنمة الخ .

والبكرة الفتية من الابل فهي بمنزلة الشابة من النساء ( والسَّنِمة ) العظيمة السَنام . والجود بمثلها من آيات السخاء وسماحة النفس .

قال : ومن جود أخيه أيضاً انه يهب المائة البقرة العَمَمَة ومعنى كون البقرة عَمَمَة انها تامة التكوين عظيمة الخلق . ومنه قول ابي عمار في عمار ( فاني أحب الجون ذا المنكب العمَم ) . وقول الآخر في هارون الرشيد :

( ويخطو على الأين خطو الظليـــــم ويعلو الرجال بخَلقٍ عمَم )

و ( الضائنة ) الضأن أعني ذا الصوف من الغنم أما المعز فغنم ذو شعر . والزَمَة تكون للمعز وهي لحيمة تتدلى من تحت حلقها وهما زمتان وتكون فيها خلقة . أما الضأن من الغنم فلا يكون لها زمة . فكيف قال لقمان : (الضائنة الزمة ) ( بكسر النون ) أي ذات الزَمَة ( بفتحها ) ؟ قال ذلك لأن العرب من عادتهم أن يخصوا كرائم إبلهم وضائنتهم بإحداث زَمَة لها . ذلك بأن يقطعوا من اذن الشاة والبعير جليدة مستطيلة تبقى معلقة في آذانهـا : فيكون ذلك آية على كرمها . وهذا ما عناه لقمان في وصف جود أخيه فهو يقول عنه انه يهب مائة الشاة ذوات الزَمَات فهن كرائم . ويروى مكان ( زمة ) بالنون ( زِلمـة ) باللام والزَمَة والزَلمة كلتاهما بمعنى واحد . وفرق الخليل بينهما فجعل ( الزَلمة ) الهنة المتعلقة في حلق العنز من المعزى كالقرط . و ( الزَمَة ) بالنون هي التي تكون في آذان الشياه الكرائم كالأقراط ومن الزمة اشتق وصف الزنيم للملحق بالقوم وليس له نسب فيهم .

وهنا بحث نحوي أثاره الزمخشري حول قول لقمان ( المائة البقرة والمائة الضائنة ) من حيث أنه أدخل لام التعريف على ( المائة ) المضاف قال وهذا لا يجيزه البصريون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويخطئون من خالفهم وهم الكوفيون الذين يجيزون الثلاثة الأثواب . ومثله المائة البقرة والمائة الضائنة . أما البصريون فلا يجيزون الا ثلاثة الأثواب ومائة البكرة ومائة الضائنة . ويستشهدون بقول ذي الرمة : ( ثلاث الأثافي والديار البلاقع ) . قال : وبرهانهم القياس الصحيح .

ثم قال لقمان في أخيه يصفه بالشجاعة بعد أن وصفه بالجود : واذا أتت على عاد ليلة مظلمة رتب رتوب الكعب ) يعني بعاد القبيلة المشهورة باسم ( عاد ) ومعنى اتيان الليلة المظلمة عليها نزول شدة بها ، أو غارة عليها . فكان ذلك كالليلة المظلمة لا يهتدى الى سلوكها أو المضي فيها . واذ ذاك يكون ( ذو الحمة ) راتبا رتوب الكعب أي ثابتا ثبوته لا يضعف ولا يضطرب . وفي اللسان : (رتب : ثبت فلم يتحرك ، يقال رتب رتوب الكعب أي انتصب انتصابه ) ثم قال : ( وفي حديث لقمان بن عاد : رتب رتوب الكعب : أي انتصب كما ينتصب الكعب اذا رميته ) . فقول اذا رميته يشعر بأن المراد بالكعب الذي يضرب به المثل في الثبوت هو الكعب الذى يرمي به الصبيان على الأرض وهم يلعبون بلعبة الكعاب . ولكن ابا كبير الهذلي وصف تأبط شرا في قصيدة قال فيه :

( واذا يهبُّ من المنام رأيته كرتوب كعب الساق ليس بزمّل )

فقوله ( كعب الساق ) ألا يشعر بأن الكعب الذي أصبح مضربا للمثل هو الكعب الثابت في موضعه من قدم الساق ؟ ؟ هناك شواهد تشهد للأول وشواهد تشهد للثاني ، وقد قلت في هذا الموضوع كلمة ألقيتها في بعض جلسات مجمع مصر اللغوي حررت فيها هذا البحث وسننشرها في مجلتنا هذه .

قوله : ( وولاهم شزنه ) جاء في لسان العرب ما نصه : ( وفي حديث لقمان ابن عاد و ( ولاهم شزنه ) يروى بفتح الشين والزاي وبضمهما وبضم الشين وسكون الزاي بمعنى الشدة والغلظة وقيل الشزن الجانب . ومعنى ولاهم ظهره جعلهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وراءه ظهره وأخذ يذب عنهم ولم يولهم دبره ، وهكذا أخو لقمان الملقب ذا أُلْمَة فانه يولي أعداءه شدته أي يجعل شدته تتولى أمر أعدائه . أو المعنى ـ وهو الأظهر ـ ! انه اذا دهم عاداً خطب ولاهم جانب بدنه فكانوا وراءه يذب عنهم ويحوطهم بنفسه ويقول لهم : اكفوني يمنة الأعداء ، أي جهتهم اليمنى ، وأنا أكفيكم مشأمتهم ، أي جهتهم اليسري .

قوله : ( وليست فيه لعثمة ) هذه الجملة كأنها فذلكة وخلاصة لما مر لأن معنى ( اللعثمة ) التوقف والتمكث ، ومنه التلعثم في الكلام وهو التوقف عن قراءة بعض ألفاظه ، فلقمان يقول : لا توقف أي لا يتوقف المسئول عما يُسأل عنه من مناقب أخي بل يجاب السائل عن كل منقبة بأنها فيه اللهم الا منقبة واحدة هو مجرد منها وهي صراحة النسب اذ كان ابن أمة : فهو اذا عيب فانما يعاب بهجنته .

قوله : فقالت أي المرأة مسرف لا أريده . معنى المسرف المذنب والمبذر والمخطئ والجاهل وغير ذلك من المعاني وكلها لا تصلح ان يكون الامراف جواباً لها . وعندي ان الكلمة محرفة عن ( مقرف ) ومعنى مقرف انه ذو قرفة وهي بالكسر بمعنى الهُجنة والعيب من جهة الأم . ويؤيد هذا المعنى أن أمه أَمَة كما تقدم .

* * *

## — ٧ —

## ( حزين )

ثم قال لقمان : خذي مني أخي حزينا ، أوّلُنا اذا غَدَونا ، وآخرنا اذا استَنْجَيْنا ، وعِصْمةُ أبنائِنا اذا شَتَونا ، وفاصلُ خُطّةٍ أعْيتْ علينا ، ولا يعد فضله لدينا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

## ( التفسير )

لاحظ القارئ أن المرأة كانت تقول بعد وصف كل واحد من الأخوة انها لا تريده وتبين السبب أما ( حزين ) فانها لم تكشف عن ارادتها أو عدم ارادتها فأشعرت بذلك انه هواها وان شخصه من المُهجة في سويداها . وانتظرت حتى وصف لقمان نفسه ، فأعلنت رغبتها فيه أي في حزين وتزوجته .

قال لقمان : ( خذي مني أخي حزينا ) لم أجد من ضبط اسم ( حزين ) أهو مكبر أو مصغر . وقد ذكرهما كليهما صاحب القاموس فقال : حَزين كأمير اسم . وكزُبير اسماء . يعني أن العرب سموا بهما جميعاً .

قوله : أولنا الخ الغدوّ الخروج وقت الغدوة والسياق يدل على أن مراده بقوله ( غدونا ) خرجنا صباحاً للغزو بقرينة قوله بعد ( استنجينا ) من النجاء وهو السرعة والسبق فمعنى استنجينا فررنا وانهزمنا من عدونا المغير علينا فان حزيناً اذ ذاك يكون آخرنا رجوعاً وذلك لكي يحمي مؤخرتنا والعاجزَ عن الفرار منا . بخلاف الأمر اذا غدونا صباحاً نريد العدو فانه يكون أولنا وأسبقنا الى لقياه : فهو يصفه بالشجاعة والاقدام ثم وصفه بالجود في قوله : ( وعصمة أبنائنا اذا شتونا ) الشتاء عند العرب مظنة القحط وفقدان القوت فهو يقول إن حزيناً اذ ذاك يكون عصمةً لأبنائنا من أهل الحي الفقراء المعوزين ، والعصمة اسم مصدر من الاعتصام بالشيء بمعنى التمسك به ، قال ابن الأثير في النهاية : ( العاصم المانع الحامي وعصمة الأرامل بمعنى انه يمنعهم من الضياع والحاجة ) ، ثم قال ابن الأثير : ( وقوله - أي قول لقمان -: عصمة أبنائنا اذا شتونا معناه يمتنعون به من شدة السنة والجدب ) .

وقوله في صفة حزين : ( وفاصل خطة أعيتْ علينا ) الفاصل اسم فاعل من الفصل وهو الحكم والبتّ في دعوى أو أمرٍ ما ( والخُطّة ) بالضم غير الخِطة بالكسر : فهي بالكسر الأرض يختطها رجل لم تكن لأحد قبله ليبني عليها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عمارة ونحوها . أما هي بالضم فالحالة والخصلة : فمكسورة الخاء تستعمل في الأمور المحسوسة المادية . والمضمومة في الأمور المعقولة المعنوية . وهي التي في قول لقمان عن حزين ، يقول : انا اذا تورطنا معشر أهل الحي في حالة شديدة أعيتْ علينا وعسر حلها كان هو ذا القول الفصل فيها ، هذا بعض مناقبه وهناك فضائل وفواضل له لا تعد ولا تحصى . هذا اذا قُرئ (يُعد) على بناء المجهول اما اذا كان (يَعُد) معلوماً وضميره راجع الى حزين كما هو مضبوط في الطبعة المصرية فيكون المراد ان حزيناً يفضل علينا بفواضله ولا يَعُد ذلك لدينا . أي لا يمتد به ولا يمن به علينا .

لا جرم ان وصف حزين بهتين الخصلتين الشجاعة والسخاء والقول النافذ في قضايا العشيرة جعل نفس المرأة تختلج بالحب والحنين اليه واعلان التزوج به حتى اذا أتم لقمان الكلام بوصف نفسه أعلنت قبول خطبة حزين دون اخوته وفيهم لقمان الذي تقعر وتبجح في مدح نفسه ووصفها بالعجيب من القول فلم ينفعه ذلك ولم يترك في نفس المرأة أثراً .

* * *

— ٨ —

( لقمان بن عاد )

قال لقمان وهو آخر الأخوة ووسيطهم في تقديمهم الى المرأة : يصف نفسه ويُغري المرأة به :

« أنا لقمانُ بن عاد ، لعادية وعاد ، إذا انضجعتُ لا أجلَنْظي ، ولا تملأ رِئَتي جَنْبَتي ، إن أرَ مطمعي فِداء يلمع ، وإن لا أرَ مطمعي فوَقّاع بصُلَّع » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

## ( التفسير )

قوله ( عادية وعاد ) عاد مفرَد أصله عادي اسم فاعل من عدا يعدو وهو أن يجري الرجل أو الفرس أشد الجري . ويجمع عادي على عادية . قال الزمخشري العادية الخيل تعدو والرجال يعدون واحده عادي فلقمان يصف نفسه بالشجاعة فهو يقول انه مستعد متهيء لعادية ولعادي اي أن فيه الكفاية لصد الجماعة من الخيل والرجال تعدو في الغارة على قومه كما ان فيه الكفاية لصد العادي الواحد . هذا ما قاله الزمخشري وأرى أنه لا حاجة لجعل ( عادية وعاد ) من عدو الخيل أو الرجال وجريهم في الغارات والحروب ، ولماذا لا تكون من العدوان بالشر فهو يقول انه وحده يكفي لصد عدوان الواحد العادي أو الجماعة العادية اذا تعدوا على قومه . على أن المآل في المعنيين واحد من حيث أن لقمان وحده حامي القبيلة ومانع الحوزة لشدة بأسه وقوة بطشه .

قوله ( اذا انضجعت ) الانضجاع هنا مطاوع الإفعال : أضجعه فانضجع على حد أزعجه فانزعج وأطلقه فانطلق . والأشهر في مطاوعة هذا الباب اضطجع من الافتعال وقد ورد اضطجعت في بعض روايات الحديث .

قوله ( لا اجلنظي ) قال الزمخشري : ( الاجلنظاء « بالظاء المعجمة وروي بالمهملة كما في طبعة مصر وروي بالضاد» وهو الاستلقاء ورفع الرجلين يعني انه ينام على جنبه مستوفزاً ) . ورفع الرجلين في الاستلقاء آية على شدة التعب وعلى ان المجلنظي مستسلم الى الراحة وفرط الدعة . فلقمان ينفي عن نفسه هذا النوع من الاستلقاء الذي هو شأن الكسالى : فهو يستلقي لكن لا يجلنظي وانه انما ينام على جنبه كالمتهيء للوثوب اذا دُعي . كما كان دأب تأبط شراً اذا نام ولذا قال فيه أبو كبير :

( ما إن يمسّ الأرض إلا جانب منه وحرف الساق طيّ المحمل )



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أي انه ينطوي طيّ حمالة السيف فلا يمسّ من جسمه الأرض الاّ جانبه وحرف ساقه .

قال : ( ولا تملأ رئتي جنبتيّ ) الجَنَبة ( بسكون النون وفتحها ) : جنب الانسان وشق بدنه . وجنبتيّ هنا مثنى الجنبة : ينفي عن نفسه صفة الجبن والهلع يقول انه لا يستولي عليه الخوف اذا طرأ طارئ بحيث يتعطل تنفسه وينحبس هواء النفس في رئتيه فتنتفخ وتملأ جانبيه أو خاصرتيه . وعبارة الزمخشري ( أي لست بجبان فينتفخ سَحْري حتى يملأ جنبتيّ بانتفاخه ) والسحر الرئة وما حاذاها من أعلا الصدر ، ومنه قول السيدة عائشة رضي الله عنها : ( مات بين سحري ونحري ) أي مات ﷺ وهو مستند الى أعلا صدرها . ويروى بجنبيّ تثنية جنب من دون تاء .

قال : ( إن أر مطمعي حِدأة يلمع ) يصف نفسه بالحزم في تلمس حاجاته وانتياش مطامعه : فهو لا يتسرع في تناولها ، حتى يراها قريبة التناول منه وإذ ذاك لا يني ولا يقصر بل يكون كطائر الحِدأة المشهورة بسرعة الاختطاف حتى قالوا في أمثالهم ( هو أخطف من الحدأة ) فينقضّ على مطمعه ويحتازه كما تنقض الحدأة على ما تريد اختطافه . والحدأة على وزان عِنبَة وجمعها حِدَء كعنب وتجمع أيضاً على حِداء بالمدّ على وزن كتاب قال ابن سيده : وهذا الجمع نادر ويظهر أن رواية الزمخشري في فائقه على هذا الجمع الممدود كأنه يقول انني اذ ذاك كواحد من هذه الطيور التي تلمع بأجنحتها و ( يلمع ) بالياء راجع الى ( حداء ) الجمع وكان الأظهر أن يقول حداء تَلمَع : يقال لمع الطائر بجناحيه اذا خفق بهما .

ويروى ( حِدوٌ تلمّع ) من التفعّل بمعنى الثلاثي وضبطت ( حدو ) في الطبعة المصرية بكسر الحاء وتشديد الواو قال الزمخشري هو اسم للحدأة بلغة أهل مكة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا اذا دنت المطامع من لقمان وقربت من متناول يده فانه يبادر اليها ويختطفها اختطاف الحدأة .

قال : ( وان لا أر مطمعي فوقاع بصُلَّع ) وقاع بالتشديد كثير الوقوع فهو بعد أن شبه نفسه بالطائر في الجملة التي قبل هذه نسب لنفسه وقوع الطائر بالصَّلع أي بالصخر الأملس فلا يكون عليه شيء تأكله الطير .

وقال الزمخشري ( الصّلع : الموضع الذي لا ينبت مأخوذ من صلَع الرأس أراد لقمان ان عيشه عيش الصعاليك ان ظفر بشيء مال اليه . والا فهو موطن نفسه على معاناة خشونة الحال والشظف ) فهو ان رأى خصباً رتع ورعى . وان رأى جدباً صبر وارعوى .

هذا ما وصف لقمان به نفسه للمرأة التي خطبها هو واخوته السبعة ، ولم يكن موفقاً في ما قاله عن نفسه مذ وصفها بعيش الصعاليك والهلاّك . وانه يختطف تكاليف حياته اذا سنحت له . ويصبر صبرهم اذا أعوزته الحيلة . وأين هذا مما قاله في صفة أخيه حزين . لا جرم أن تُعرض الحسناء عنه وتميل الى أخيه الذي رضيته بعلاً وتزوجت به .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net